النقـد الأدبـــــــى

بين الدكتور طـه حسين والدكتــور القـــــط

الدكتـور / عبدالحميد إبراهـــــيم

كان النقـد القديم بلاغيـا، يهتم بصحة العبـارة، ويبحـث عن التشبيه والاستعارة والكناية، ويحتفى بالمحسنات البديعيـة، ولم يكـن فى هـذا مايضيره، فهـو متجانس مـــع الفنون القوليـة عند العرب، وهى فنـون غالبـا ماتهتم بالايقـاع اللفظى، وتحرص علـــى متعة الأذن وإرضـاء الحواس، فالنقـد القديم اذن نقد جمالـى، لم يقن نفسه كثيـــــرا بالبحـث عن نفسية القائل، ولا بالكشـف عن الظواهر الاجتماعيـة، والمدلولات الحضـاريـة، انه نقـد جمالـى يحصـر نفسه داخـل العبارة، ويبحـث فيهـا عن الفنون البيانيـــــــة والبديعيـــة ·

- ٢ -

ثـم تطـور مفهـوم النقـد فى العصـر الحديث، وكان هـذا طبيعيا، فقـــــد عرفنا أجناسا أخرى من الأدب مثل القصة والمسرحية والشعر الحر، لاتعتمد فقط على الايقاع اللفظى ولكنها تعتمـد على الحركة الكلية، وتضارب المواقف، والصراع بين الشخصيـــات واحتدام الحوار، وباختصار أضافت عنصر الدراما إلى عنصر الجمال الذى يعتمد علــــى الجـرس اللفظـى ·

ونظـرا لاتساع مفهوم النقـد فى العصر الحديث، تداخل مـع مفاهـــــيم أخرى لبعض العلـوم الحديثـة، وخاصة علمـى الاجتماع والنفس ·

انـه لأمـر صـعب أن نقدم فى هذه العجالة تعريفا شاملا بالمذاهب النقديـة ومن ثم سنشـير وبصورة سريعة إلى أربعة اتجاهات عرفتهـا الساحة المصريـة، وهــــى: الاتجاه الجامعى، والاتجـاه الاجتماعى، والاتجاه النفسى، وأخيرا الاتجاه الجمالى ·

- ٣ -

ويحمل الاتجاه الجامعى فى معنـاه الأصلى منهجـا علميـا سليما واخلاصـــــا للبحـث، فهو يجمع المـادة من مختلـف مظانها، ويقـوم بتحليلهـا وتتبع جزئياتهـــا، ومتابعة تأثيرها وبيان جذورها ·

وهو يصدر أحكامه من خلال الوثائق والاستشهادات فتكون - بقدر الإمكان - بعيدة عن الذاتية والتحيز . ولكن هذا الاتجاه قد حمل معانى أخرى فى الفترة الأخيرة فأساءت إليه ، إذ أصبحت كلمة أكاديمية تدل على فقدان الشخصية وضياع عنصر الابتكار، وذلك يوم أن تحول هذا المنهج - عند البعض - إلى مجرد الجمع والحشو والتصنيف وضاعت شخصية الباحث بين الاستطراد وأقوال الآخرين واعتمد كثيرا على النقول، إن القراءات الكثيرة إذ لم تصاحبها عملية امتصاص وبروز للشخصية تصبح سلاحا ضد صاحبها وتحوله إلى صدى للآخرين، وإلى دماغ يمتلئ حتى يفيض بالآراء، وقد وقع هذا الاتجاه أخيرا وعند الكثيرين فى متاهات وأصبح مثل لعبة الشطرنج أو الكلمات المتقاطعة، تعطى صاحبها لذة فكرية وحدة ذهنية دون محصول علمى وواقعى .

إن الاستقراء لمناهج الكتاب الأكاديميين عندنا تطلعنا على ثراء هذا المنهج، وتحقيقه لكثير من النتائج الموضوعية والمدروسة، متى ماتحققت لصاحبه الشخصية المستقلة ووجهة النظر الخلاقة، وفى الوقت نفسه تطلعنا على جدب هذا المنهج وتحوله إلى كمية من القراءات إذا ماصادف شخصية أقرب إلى أمين مكتبة منها إلى باحث مفكر .

ويتخلص الدكتور / لويس عوض من بعض سيئات هذا المنهج، وقد ساعده عمله بالصحافة على أن يرتبط بالواقع ويتفهم مشكلاته، وأن يتعرض لقضايا هى بنت لحظتها، ولكنها لم تكن على حساب منهجه العلمى، فى تتبع الفكرة وردها إلى جذورها، والاستعانة بالأمثلة التاريخية مع المقارنة بما عليه حال الدول الأوربية بنوع خاص وهو يحاول أن يعطى للقارئ أكبر كمية من المعلومات بطريقة الأستاذية التى تعرض وترشد، ولكن الفكرة أحيانا تغريه بالاستطراد، واستخدام المصطلحات العلمية ، وإحصاء الأعلام الافرنجية، واستخدام التعبيرات الانجليزية والفرنسية واليونانية ، إنه يتباهى - وقد لقب نفسه بالمعلم - بأنه يعرف الكثير مما لايعرفه القارئ ، وهو يريد أن يترك القارئ دائما فاغرا فاه مندهشا أمام استعراضات أستاذه ، معتزا بقوته الفكرية وقدرته على استخدام الكلمات الأفرنجية، وتحمله اللعبة إلى أقصى طرفها فحتى لوكان الموضوع عاديا ، ويمكن أن يدرك بلا عناء ، فلابد من أن يثقله

بالجداول والأرقام والاصطلاحات والأعلام الأفرنجية ، ويحيطه بشئ من لغة الكهنة التى لاينبغى أن يفهمها سواهم، حتى تظل للمعلم هيبته وقدرته على التأثير.

إنما يظهر هذا المنهج بريئا من كل الانحرافات عند الدكتور محمد مندور، إنه رجل قرأ الكثير وسافر، وتذوق مختلف الفنون، وعانى من الاضطهاد والرجعية، وهو رجل قد امتص قراءاته وسيطر عليها، فلم يعد دونها تسخره، ولكنه فوقها يحركها وينفث فيها من روحه، إنه - على الرغم من منهجه الأكاديمى - نحس عنده بالحرارة والمعاناة، وبأنه صاحب رسالة، وليس همه أن ينقل المعلومات وأن يتباهى بها أمام القارئ، وإنما همه أن ينسل داخل القارئ، وأن يحدث فيه تغييرا ويدفعه إلى الحركة .

لقد قال سنة ١٩٤٤ تحت عنوان (العقلية المصرية) : وبودى لو نفثت في كل قلب إيمانا بالنفس وأملا في الحياة حتى أرى جميع مواطنينا كالكرات من المطاط كلما زدتها صدما ازدادت قفزا، إنه يتتبع فكرته بهمس دون أن يتعمد كلمة فصيحة، أو يجرى وراء مصطلح علمي ، أو يغريه اسم عجمى إن مهمة الكاتب - عنده - مهمة خلقية، ليست هى التلاعب بالألفاظ، ولانقل النظريات وشرحها ، إن مهمته كما يقول (لاينبغى أن تكون الإفحام بالجدل بل الاقتناع بالقلب ، ولن تصل إلى اقتناع إلا إذا اكتفيت بأن تعرض تجاربك النفسية داعيا الغير إلى مثلها) . إن هذه النفثة من الحياة وهذه الحرارة التى تمتلئ بها كتاباته هى التى تفرق بين منهجه ومنهج الدكتور لويس عوض، الذى يؤثر الحياد التام الذى يخلو من الحرارة والعاطفة، ويفضل هيبة المعلمين على مخالطة القارئ والتباسط معه ومحاولة إقناعه بطريقة وجدانية تربى شخصيته، بل لابأس من أن يقتص أحيانا من الواقع ليصير على (قد) القالب الذى يعده المعلم ، لقد كان الدكتور لويس عوض منصفا تمام الإنصاف حين قارن بين منهجه ومنهج الدكتور مندور، فقال على صفحات الأهرام (كان ذكاؤه ذكاء تحليليا قاطعا كالنصل الماضى يفتت كليات الحياة إلى جزئيات صغيرة واضحه للعين المجرده بملكته القادرة على التحليل ، وكان إدراكى ادراكا تركيبيا، لا أرى الشئ واضحا على البعد ويلف كل شئ بضباب المطلقات والمقولات الكلية وكان يقدم القيم الجمالية ، وكنت أقدم المضمون على كل

جمال) .

- ٤ -

وقد صحبنا الاتجاه الاجتماعي - منذ عصر النهضة - وربما كان امتدادا - بصورة ما - للنظرة العملية التي كان يتطلبها القدماء من البلاغة كفن قد نشأ لخدمة العقيدة ، وخاصة أن الذين كانوا يمارسون الفكر الأدبي في أوائل هذا القرن من ذوى المناصب الرسمية الذين يهمهم الحفاظ على تقاليد المجتمع، فمثلا الدكتور منصور فهمي أستاذ الفلسفة بالجامعة، والدكتور أحمد ضيف أستاذ الأدب العربي لايتكلمان عن الأدب كفن يستحق الكلام لذاته، وانما كانا يتحدثان عما (يكون في ذكره للناس عظة وعبرة) على حد قول الأول، وعن البلاغة كفن في خدمة المجتمع على حد رأى الثاني .

ثم تطور هذا الاتجاه عند الدكتور عبدالعظيم أنيس ومحمود أمين العالم في أوائل الخمسينيات ، حين تبنيا نظرية الواقعية الاشتراكية في الأدب ، والتي ترى من رسالة الأدب أنه لايقف عند الجانب السلبي (الاستاتيكي) في المجتمع فيصوره، بل لابد له من أن يتبنى قوة ايجابية (ديناميكية) تعمل على تغيير المجتمع، إن صورة البطل المنهزم ينبغي أن تتغير إلى صورة المناضل، ولكن الدكتور عبدالعظيم أنيس غلبت عليه الصرامة على عكس زميله، وغلب النظرة الاجتماعية في نقده، بحيث جعلها المقياس الأول، مما حجب عنه الجوانب الفنية الأخرى وأوقعه في أحكام أقرب إلى الجانب السياسي منها إلى الجانب الفني، إنه يفضل - مثلا - عبدالرحمن الشرقاوي، على نجيب محفوظ لسبب بعيد عن الفن، وهو أن الشرقاوي اهتم في رواية الأرض بالجموع وقدم لنا روح المقاومة، بينما يقدم نجيب محفوظ المجتمع في حالة ساكنة ترتكز على الجانب المظلم و لاتتبنى نظرة تفاؤلية .

وانتهى هذا الجانب إلى النقاد في أوائل الستينات في صورته الصارمة ونبرته السمحة، فنجد في نقدهم - للأسف - اهتماما بالمضمون، وبعدا عن جماليات العمل الفني . إن الشعر المعاصر في نظر أحدهم مرفوض في معظمه

لأنه يتحدث عن الموت والغربة ، ولايدعو للمقاومة وحمل الفأس وإن نجيب محفوظ فى نظر آخر يبتعد فى مرحلته الجديدة عن قضايانا المعاصرة ولست أريد أن أدير مرة أخرى هذا الحوار القديم والجديد فى المفاضلة بين اللفظ والمعنى بالتعبير القديم، أو بين الشكل والمضمون فى التعبير الحديث . وكل ما أريد أن أوكده سريعا أن الفكرة لاتدخل عالم الفن إلا بشئ من الجمالية يفرق بين الكتابة للكتابة وبينها كفن، وهذا الشئ من الجمالية، هو الذى ينبغى على النقد أن يكتشفه، ولابأس أن يستعين فى سبيل الكشف عن ذلك بالظروف الاجتماعية أو السياسية أو النفسية، ولكنها تبقى مجرد استعانة دون أن تتحول إلى هدف فى حد ذاته .

- ٥ -

وقد تأثر الاتجاه النفسى بالمكتشفات النفسية المعاصرة ، وخاصة عند فرويد ، فمنذ أن اتصلنا بالحضارة الأوربية واطلعنا على المنجزات النفسية، بدأ اهتمامنا بهذا الاتجاه يظهر، والذى قد بلغ ذروته عند العقاد، إذ كان يبحث فى عبقرياته عن صفة نفسية أساسية يسميها مفتاح الشخصية الكامن وراء كل تصرفاتها، ويظهر هذا الاتجاه واضحا فى كتابه (الحسن بن هانئ) ، الذى حاول فيه أن يكون محللا نفسيا يتتبع عقدة النرجسية عند أبى نواس، ويبحث عن مصدرها أو كما يقول : وكلما أمعن الباحث النفسانى فى دراسة هذه الشخصية بدا له أنها من كل وجه (شخصية نموذجية) فى بابها، وانها لقطة لاتظفر بها المشرحة النفسية فى كل دراسة، ففيها أثر لتكوين المولود، وأثر البيت ، وأثر البيئة الاجتماعية، وأثر العصر من جانب السياسة وجانب الثقافة .

ولكن هذا الاتجاه يجرد العمل الفنى من جمالياته، إذ لايبحث فيه إلا عن شذوذ صاحبه، فهو قد ينفع المحلل النفسى، وقد يخدمه فى وظيفته . وفرويد هنا منطقى مع نفسه . إذ ينظر إلى الأدب من خلال زاوية التحليل النفسى، وكأداة توصله إلى مفتاح المرض النفسى فإنه يرى أن حاضر الإنسان هو نتيجة ماضيه، وإذن فليبحث عن هذا الحاضر فيما تركه الإنسان من مذكرات ووثائق وكتابات، لقد اهتم فى دراسته عن دافنشى مثلا بأشياء لاتدخل عالم الفن فى شئ ، كهذا الحلم الذى أورده فى مذكراته عن طفولته المبكرة أو تلك الملاحظة عن أنه يحيط نفسه

بتلاميذ، يمتازون بالجمال أكثر من النبوغ، مما يؤكد اتهامه بالعلاقات الجنسية الشاذة، إنه يتخذ من دراسة الإبداع عند دافنشى وسيلة لتحليل الشخصية ومعرفة مابها من عقد وشذوذ ·

إن هذا الاتجاه أقرب إلى علم النفس منه إلى مجال الفن، ومن ثم انحسر تأثيره عندنا فى عالم الأدب، وقل المتحمسون، ولم يعد يمثل منهجا سائدا، وإنما هى بضع ملاحظات ترد على لسان الناقد الادبى، ولايقصد منها إلا اثارة التذوق للعمل الفنى ·

- ٦ -

والاتجاه الجمالى يترك نفسه لاستقبال إشعاعات العمل الفنى، ثم يحاول التعبير عن إحساسه إزاء هذا العمل، دون أن يحبس ذاته داخل نظريات أكاديمية، أو يرهق العمل الفنى بالاسقاطات الاجتماعية، أو التحليلات النفسية ·

إننا نقرأ للدكتور عبدالقادر القط، فنحس فى نقده إبداعا لايقل عن إبداع العمل الفنى نفسه · إنه يطرح ـ بصفة مؤقته ـ النظريات العلمية، ليكتشف فى لغة هادئة منطق العمل الفنى نفسه، وليبحث عن جمالياته الذاتية · إن هذا لايعنى قلة المحصول الثقافى، ولكنه يعنى أن الثقافة لاتفرض نفسها، وإنما كل همها أن تجعل ذوق الناقد كالشفرة الحادة، أو كقطعة المغناطيس التى تلتقط البرادة وتنظمها · إن الدكتور القط لايهدر طاقته فى أشياء خارج العمل الفنى، إنه يصدر عن نظرة احترام للفن، تبحث عن جمالياته الخاصة، له دراسة نشرها فى مجلة (المجلة) (مارس ١٩٧١) عن شعراء المقاومة بين الفن والالتزام، إن الموضوع يقع فى المنطقة الحرجة، فهناك تجربة وطنية تقتضى قدرا من الالتزام، وهناك الفن الذى يقتضى قدرا من الحرية، تتجاوز المقولات السياسية والعواطف الوطنية، ولكن الدكتورالقط استطاع أن يقدم منهجا يحل تلك الإشكالية، ولم يكن هذا المنهج على حساب الفن كما يقول الغوغائيون والدوجماطيقيون،ولكنه كان لصالح الفن، إنه يقول: لابد لمن يريد أن يمضى فى حمل تلك الرسالة القومية، فى أعمال فنية ناجحة، أن يبحث عن وسائل جديدة للتعبير، فى القصة والمسرحية والشعر، والالتفات إلى مافى الحياة الإنسانية جميعها، من مآس يرتبط بعضها ببعض، ويتشابه

إحساس الناس بها فى كل مكـــــان ·

ـ ٧ ـ

من الصعب أن نصنف طه حسين فى اتجاه ما ، فهو ذو شخصية متأبيـــة لاتخضع لقوالب ، أو تقع تحت طائلة النظريات ، إنه متعدد الثقافة، عرف الثقافـــة العربية والغربية ، وقرأ القديم والجديد، ولم تكن معرفته مجرد تحصيل قـــــــراءة بل كان يعايش الأفكار، ويحسها، ولديه قرون استشعار حساسة للغاية، تلتقـــط الجديد، ومنائة لما تفتقده مصر فى نهضتها المعاصرة، كان يقرأ وعينـه علــــــى مصر، فإذ ا رأى شيئا جديدا، يمليه على صاحبه، وإذا بصاحبه يكتبه، وإذا بـــــه يصدر على الناس فى صورة صفحات كما يقول فى مقدمة (جنة الشوك)

إن روح الحماس للإصلاح الذى سيطر على طه حسين، وإن المعـــــارك المتتالية والمحتدمة التى وجد نفسه فيها، وإن الفترة التاريخية التى عاشها والـــتى تعالت فيها صيحات المثقفين، إن كل هذا مسئو ل عن أن طه حسين لم يكون مـــن قراءاته المتعددة موقفا فلسفيا، تصدر منه نظراته النقدية، إنه كان يكتفى بالتقاط الفكرة من هنا وهناك، ثم يمررها داخل نفسه، فتكتسب لونا جديدا، قد يظـــن لأول وهلة أنها شئ مبتكر، ولكنها عند التدقيق ترتد إلى مصادرها الأولى ·

إن طه حسين يردد خلال قصصه القصيرة ورواياته فكرة أن العمـــل الفنى مشروع مشترك بين القارئ والكاتب، فهو يقول فى مجموعة (المعـذبـــون فى الأرض) : ومن حق الكاتب أن يذهب ماشاء فى كتاباته ولكن من حق القـــارئ أن يفهم فى وضوح وجلاء مايقدم الكتاب من المقالات والقصص ، (ص ٥٦) وهـــو يقول خلال رواية (ماوراء النهر):ولم يخلق الله أديبا يستطيع أن يستأثـــــــر وحده بوصف مايعرض على قرائه من الأشياء والأحياء، فهذا الوصف شــــــــركة دائما بين الأديب المنتج والقارئ المستهلك، وليس من المحقق أن الأشياء الـــتى يعرضها الأدباء تقع فى نفوس القراء كما يعرضونها عليهم، وإنما الشئ الذى ليـــس فيه شك أن القراء يشاركون فى الخلق والإنشاء، ويسبغون من ذات أنفسهم علـــى مايجلو لهم الكتاب من صور، ألوانا لعل الكتاب أنفسهم لم يروها، ولعلها لم تخطـــــر لهم على بـــال) ص ٢٨ ·

يكرر الدكتور طه حسين هذه الفكرة بحماسة فى أكثر من قصة قصيرة فى مجموعة (المعذبون فى الارض) وفى أكثر من موضع فى رواية(ماوراء النهر) ولكنها عند التدقيق نراها أثرا من قراءات سارتر ، فقد كان طه حسين كما يذكر فى كتابه (رحلة الربيع) محبا لسارتر، يطالع آراءه السياسية والفنية، وايماءاته المسرحية، إن سارتر يقول: وبهذا تكون القراءة بمثابة تعاقد كريم حر بين المؤلف والقارئ، فيثق كل منهما بالآخر ويعتمد عليه، ويطلب منه مايطلبه من نفسه، لأن هذه الثقة نفسها كرم وحرية، (ما الأدب ص ٦٨) .

ولكن طه حسين لم يفقد نفسه فى قراءاته الكثيرة، وبين النقول والهوامش والشروح وجمع الآراء، ربما بسبب أنه آثر الجانب الجمالى فى الظاهرة التى كان يعرضها، تحدث عن شعراء العرب القدامى فى حديث الأربعاء، وفى الشعر الجاهلى، وذكرى أبى العلاء، وعن حافظ وشوقى، وعن الظواهر الادبية المعاصرة فى : فصول فى الأدب والنقد، ومن حديث الشعر والنثر. وتحدث عن الأدباء الفرنسيين فى صوت باريس، ولم يكن حديثه فى كل ذلك نظريا، كان يشير للنصوص الأدبية ويتحدث من خلالها، فحماه حسه الفنى، وإدراكه لمرامي النص الأدبى من أن يتوه، أو أن يستغرق فى هوامش النص الأدبى، التى تعنى بالقضايا الاجتماعية، أو الأغراض النفسية .

ومع ذلك فلم يكن طه حسين وراء النص دائما، حقا كان يقرؤه ويكشف عن خباياه الفنية، بل يشرحه أمام القارئ، ولكنه مع ذلك كان من طراز النقاد الذين يوجهون ويتحدثون عن المستقبل، كان معلما يرود وينصح، ويخاطب القارئ، ويفجر داخله، ويضع يده على الظواهر، ويدعوه إلى الاستكشاف، وهذا هو السر فى حديثه المستمر إلى قارئه، إنه يريد دائما أن يوقظ لديه الوعى، وأن يجعله متنبها لحمل الرسالة، حتى فى قصصه ورواياته، يخرج على تعاليم النقاد، ويخاطب القارئ إنه يفعل ذلك لاعن جهل بأصول الفن القصصى، ولكن على وعي أن النقاد كانوا لايستطيعون أن يصادروا حرية الكاتب ولاحرية القارئ،انه يقول فى رواية : ماوراء النهر؛ وقد أزمعت ألا أرقى معهم إلى القصر ، ولا أتبقى معهم على الربوة ، استجابة لأصل من أصول الفن كما أراه أنا، لاكما يراه النقاد (ص ٦٠) ، ويقول أيضا: فالكتاب قد يرون على شئ كثير إذا لم يفرضوا على أنفسهم مايحب النقاد

أن يفرضوه عليهم من القواعد والأصول (ص ٦٣) ٠

- ٨ -

ثم تناهى كل ذلك إلى الجيل التالى لجيل عبدالقادر القط ، وبدا أن النزعة الجمالية هى التى تسيطر، إن الصراخ الذى تعالى فى أوائل الستينيات حول صـــراع الطبقات، ومنطق التاريخ، واندحار الرأسمالية، وظهور صوت البطل المناضـــل ، وإن التحليلات النفسية التى كان يولع بها العقاد أخذت تنحسر إلى المدرجـــات الجامعية، وبدأت المسيرة تعود إلى وضعها الصحيح، فالأدب فن قبل كل شئ، ونقـــده الصحيح هو الذى يستطيع أن يكشف عن هذا الجانب الفنى، عرف ذلك النقد القديـــم ونشأ عنه علم البيان الذى يكشف عن الأوجه المتعددة للعبارة الواحدة، وعرفه كبـــار النقاد المعاصرين أمثال الدكتور طه حسين ، والدكتور محمد مندور، والدكتـــور عبدالقادر القط، الذين كانوا يملكون إلى جانب المعرفة، الموهبة الفنية التى تستطيع أن تتحسس النص، وتكشف عن إبداعاته الفنية ٠

إن الجيل التالى يعتبر تطوراً طبيعيا لمسيرة الحركة النقدية ، ليس الأمر أمر أزمة، أو غياب للنقاد الكبار فإن هذه الصيحات تصدر من فريق النادبين، الذين لايبحثون إلا عما يهيج العواطف ويثير الشواجن أو تصدر من هؤلاء الذين لايتعلقـــون بالأشياء إلا بعد أن تصبح ماضيا، إن النماذج التاريخية تجذبهم، لا لشئ ســـوى أنها تاريخ وماض ، كان طه حسين يعيش بيننا فنحاربه، وكان محمد منـــدور يعيش معنا فنضطهده ، ويعيش معنا الآن الدكتور عبدالقادر القط فنحجب عنه جائزة الدولـــة فى الأدب ، فإذا أصبح الجميع فى ذمة التاريخ تباكينا عليهم ولطمنا الخدود وقلنـــا إن جيل الكبار لايعوض ٠

نحن قوم نملك خاصية تعوق مسيرة الحضارة، نحب البطل المنهزم أكثـــر من البطل المنتصر ، فإذا رأينا شخصا متألقا بيننا تكاتفنا جميعا ضده وهدمنـــاه وإذا رأينا شخصا منهزما مصمصنا الشفاه، ورثيناه، أذكر أن صديقنا أمل دنقـــل لم يجد كلمة تشجيع حال تألق موهبته، حتى إذا ما مرض تحول بقدرة قادر إلـــى أمل الجميع ٠

إن المسيرة لاتقف ، ومصر دائما معطاءة ، والجيل التالى هو امتـــداد

طيب لجيل الآباء، أخذت الأشياء عنده تهدأ والأمور تعود إلى نصابها الطبيعي، ولم يعد الأمر لشخص واحد، مثل العقاد أو طه حسين ، تمجد تعاليمه، فقد أخذ يتطلع هذا الجيل إلى عصر التعدد ، ولم تعد تستهويه الصيحات الوافدة فيتغنى بتعاليم ماركس أو لينين ، ولم يعد يلتقط فكرة واحدة ، كالوجودية أو الوضعية، فيتحول إلى داعية لها، إن الجيل الحالي يتوق إلى أن يصدر عن نفسه، وعن تراثه، وإلى أن يعيد التصالح بين الثنائية المتخاصمة، كان دعاة القديم يرددون تعاليم ابن قتيبة والجاحظ وابن رشيق ، وأخذ دعاة الجديد يرددون تعاليم ماركس واليوت وماركيوز ، وحدثت القطيعة بين المصطلحات النقدية القديمة، وبين المصطلحات الجديدة، ظلت المصطلحات القديمة في بطون الكتب ولم تتطور بصورة طبيعية على ألسنة النقاد في العصر الحديث ، وحلت محلها مصطلحات آتت من الشرق والغرب والجيل الحالي يدرك هذا، وتتعالى صيحاته، تدعو إلى التصالح تحت مايسمونه (بالأصالة والمعاصرة) .

إن الجيل الحالي قدم أحسن ماعنده في ظروف لحظته التاريخية، حقا هناك أشياء كثيرة مفقودة في عالم النقد الأدبي اليوم، ولكن استردادها لايأتي عن طريق النصيحة والوعظ، لأنها ترتبط بلحظة تاريخية ، تكثر فيها الأمية وينحسر الكتاب ويصبح البقاء للقمة العيش، ولكن الجامعات تعمل، والكتاب يكتبون، والمجلات تظهر، كل ذلك يقرب اللحظة الموعودة ، ويومها سنجد الناقد الفيلسوف الذي نفتقده والذي يكون قد توصل إلى أفكاره الخاصة ، والنابعة من تراثه، والمتعانقة مع عصره، ويومها أيضا سنعرف المذاهب الأدبية، كما نعرف الآن بمباريات الكرة، فسيكون لدينا جمهور يتحمس للفكرة الادبية، ونقاد يتحدثون عنها، وصحف تروج لها ، وسيكون لها حينذاك تطبيقاتها التي تلعب دورها الكبير في حياة الناس العلمية .